العمارة الدينية الإسلامية في مدينة بعلبك

ا.م. د. راغدة محمد المصري
الجامعة اللبنانية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم التاريخ

الملخص

بعلبك مدينة الشمس، احدى اهم المدن التاريخية في لبنان، عرفت حضارات متعددة في عهود تاريخية متعاقبة، تركت خلالها شواهد اثرية كثيرة، اشهرها القلعة والهياكل الرومانية.

تشكّل التراث المعماري الإسلامي في بعلبك من عمائر مختلفة: دينية ومدنية وعسكرية واجتماعية إضافة إلى العديد من آثار الفنون التي أتقنها المسلمون .

يأتي هذا البحث كمساهمة لتبيان اهمية العمارة الدينية الاسلامية في بعلبك ودورها الحضاري، في وقت تزداد فيه الدراسات وتكثر على المستوى العالمي حول الآثار الرومانية لقلعة وهياكل بعلبك ، والتي لا ننكر اهميتها وقيمتها العلمية.

سيلقي هذا البحث الضوء على العمارة الدينية التي خلفها العرب والمسلمون في بعلبك من مساجد ومدارس والخانقاوات وربط وقباب كما سيتناول المراسيم السلطانية التي نقشت عليها .

فكيف ظهرت العمارة الدينية الاسلامية في بعلبك؟ متى تمّ بناء اول مسجد.؟ ما هي العمائر الدينية التي ما زالت موجودة؟ وما هي ابرز خصائصها.؟ ما هو الدور الاقتصادي– الاجتماعي لهذه العمائر؟ وما هي آثارها الاجتماعية والثقافية ؟ كيف تم الحفاظ على هذا التراث المعماري؟

مفاتيح البحث : الفتح الاسلامي، المسجد، المدرسة، المراسيم، القباب، الربط، المزارات . الدور الاقتصادي، التركيبة الاجتماعية والدينية.

المقدمة

تربض مدينة بعلبك على هضبة عند سفح سلسلة جبال لبنان الشرقية في القسم الشمالي الشرقي من سهل البقاع وعلى ارتفاع يتراوح بين ١١٥٠م و١٢٥٠م عن سطح البحر ، تبعد عن العاصمة اللبنانية مسافة ٦٨ كلم وعن دمشق مسافة ٦٥ كلم على خط مستقيم.

اسم : بعلبك مركّب من (بعل ـ بك) أي بيت البعل أو (مدينة البعل) ذكره القرآن الكريم بقوله تعالى: (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) [الصافات /١٢٥].

القادم إلى بعلبك من الجنوب تطلّ عليه القبة الذهبية لمقام السيدة خولة بنت الحسين(ع)، المحاط بهالة خضراء من الأشجار ، تظهر بعدها أعمدة هياكلها الضخمة، من ثم تشاهد البيوت القرميدية وطوالع المآذن إلى جانب الأبنية الحديثة، لينتهي عند منتزه رأس العين، إلى جانب آثار مسجد رأس الحسين (ع) .

خلال الفتح العربي، كان على القوات الإسلامية العربية ، إلا تهمل بعلبك المدينة لأسباب:

- **جغرافية: فهي مفتاح للبقاع وبوابة لسوريا الشمالية على الجنوب ولفلسطين على الشمال ومحطاً للقوافل التجارية"[١]**
- **عسكرية: كانت تشكل إحدى القواعد البيزنطية المعتمدة لصدّ موجة الفتح الإسلامي[٢]**

منح الفتح العربي الإسلامي لبعلبك عام ١٥ هـ/ ٦٣٦م عهداً جديداً غيّر معالمها الديموغرافية والثقافية والدينية ظهرت مؤشراته :

١ــ استعادة اسمها القديم الفينيقي (بعلبك)، ونزع عنها الاسم الروماني (هيليوبولس).

٢ ـ انصهار السكان من عرب، وفرس، وما تبقّى من روم وقبط في شعب واحد

٣ أصبحت مدينة بعلبك مركزاً هاماً لاستكمال الفتوحات، والدفاع عن الثغور الساحلية.

استفاد المسلمون من القلعة، فاستخدموها كحصن، وأحاطوها بالأسوار العالية، شادوا على جوانبها الأبراج وزادوا على علو هياكلها، بنوا داخلها مسجد النبي إبراهيم (ع). أحاطوها بالخنادق، والمنازل والحمامات وغيرها.

<u>أولا: الجوامع (المساجد):</u>

قصد بعلبك العديد من العلماء والرحالة ذكروها في كتبهم ، كالنابلسي، وتحدث عنها القلقشندي: هي (بعلبك) مختصرة من دمشق في كمال محاسنها وحسن بنائها، وترتيبها بها المساجد والمدارس، والربط، والخوانق والزوايا والبيمارستان، والأسواق الحسنة[٣]. وأما أبرز المساجد الإسلامية التي ما زالت معالمها الآثارية فهي:

١- جامع إبراهيم الخليل

يقع داخل هياكل قلعة بعلبك في القسم الجنوبي عند معبد فينوس، غرب معبد باخوس. بالقرب من برج الأمجد . ذكره ابن العبري :" بأنّ العرب حوّلوا الكنيسة التّي بناها الإمبراطور قسطنطين في داخل القلعة الى مسجد سمّوه إبراهيم الخليل " [٤]. و"ياقوت الحموي"[٥] :"بناه المسلمون عقب فتحهم لبعلبك الذي تمّ في سنة ١٥هـ/٦٣٥م". ولهذا هو أقدم أثر إسلامي في لبنان منذ عهد الخليفة الراشدي "عمر بن الخطاب" وقد أنشأ ليكون مصلى للجنود الذين يحرسون القلعة.

يبلغ طوله ٣٧ م وعرضه ١٧٫٥ م له ثلاث قناطر لم يبق منها إلا ركائزها المربّعة، ويتألف من ستّة صفوف من الركائز المربّعة، (١٢٥×١٢٥سنتم) بارتفاع خمسة أمتار، ويوجد بالقرب من الحرم بركة للوضوء قطرها متران.أَرض الجامع مرصوفة بحجارة مستطيلة، أَما محرابه في الجدار الجنوبي والى الجنوب منه باب يؤدي الى الطابق الثاني من برج الأمجد المؤلف من ثلاث طوابق ، يبلغ ارتفاع الجدار الجنوبي الغربي حوالي أَربعة أَمتار أقيمت بالقرب منه التحصينات العربيّة، أَما جداره الشمالي مهدّم.

يوجد كتابة عربيّة على سبيل في مدخل الجامع مؤلّفة من أَربعة أَسطر جاء فيها:

- **أمر بعمارة هذه (...) السبيّل المبارك.**
- **العبد الفقير إلى الله تعالى الأميري.**
- **الكبيري المخدومي الجمالي المظفري**
- **نائب السّلطنة (الشريفة) ببعلبك المحروسة.[٦]**

٢- الجامع الأمويّ الكبير:

يطلق عليه اسم الجامع الكبير أَو الجامع المعمور، يقع إلى الشرق من مدخل القلعة، على بعد حوالي ١٢٠ م، مساحته في السجلات العقارية ٢٨٨٢ متر مربع . كان قبل الفتح العربي كنيسة ليوحنا المعمدان ، من ثم

تحولّت بعده الى مسجد ضخم بني بأَعمدة الغرانيت الموجودة في القلعة [٧]. يظهر ذلك من الشارات الموجودة على جدرانه [٨] .

اعتبره "فإن برشم Van Berchem [٩]:" أَقدم الأَبينة الإسلامية في سوريا وبأنّ المسلمين هم الذين أشادوه" . يتألف الجامع من بهو مربع يحيط به رواق، ويتوسطه حوض ماء، تتألف قاعة الصلاة فيه من ثلاثة صفوف من الأعمدة مع تيجانها من المعابد الرومانية المجاورة. رُمّم أكثر من مرة:

- في العهد الأيوبي :

بعد أن قضت سيول الماء نتيجة الطوفان على الكثير من معالمه، رمّمه نور الدين زنكي عام (٥٥٢هـ ١١٥٧).والسلطان الصالح إسماعيل عام ٦٣٧هـ ١٢٣٩) [١٠]. ذكر فيغاند Wiegand [١١] وجود أَربعة أَسطر من النّسخ الأيوبي على لوحة حجرية قياس ٤٠ × ٤٠ سنتم كتب عليها:

- بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وقفه وحبسه وأي(ده ايام) مولانا السلطان.
- الملك الصالح أبي الفدا إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيّوب العبد الفقير إلى رحمته.
- الله سبحانه أَبو الحسن المتطبّب على الفقراءِ والمتّفقه على مذهب الإِمام الشاّفعي وعلى القرّاء
- بالضريح بالتربة المباركة وغيرهم ممّا هو مذكور في كتاب الوقف وذلك في شهور سنة سبع وثلاثين وستماية.

في عهد المماليك

رمم السّلطان "قلاوون" عام (٦٨٢هـ - ١٢٨٣م) أحد جدرانه وشبابيكه ونُقش ذلك على لوحة هجريّة من ستّة أَسطر، في أرض الجامع، قياس (٩٤×٦٠ سنتم) كتب عليها :

- جدّد هذا الحائط المبارك والشبابيك في أيّام مولانا السّلطان الأعظم شاهنشاه.
- مالك رقاب الأمم سيّد ملوك العرب والعجم والترك والديلم الملك المعظّم المنصور.
- سلطان الإِسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محيّ العدل في العالمين ملك البحرين خادم.

- **الحرمين الشريفين أبي المعالي قلاوون قسم لأمير المؤمنين خلّد الله سلطانه وشدّد إزره ببقاء ولده.**
- **وولي عهده الأمير نجم الدّين حسن نائب قلعة بعلبك ومدينتها وذلك في سنة اثنين وثمانين وستماية[١٢]**

كما رمّمت أَروقة الجامع حيث وجد نص بالنسّخ المملوكي من أَربعة أَسطر :

- **جدد هذا الرواق المبارك في أيام مولانا**
- **السلطان الناصر حسن بن مولانا السلطان**
- **الملك الناصر محمد بن مولانا الملك (..،)**
- **المنصور الصالحي عزّ نصره في شهر ستين وسبعماية[١٣]**

حديثا: رمّم من قبل الرئيس رفيق الحريري من ١ محرم ١٤١٨ – ٨ أيار ١٩٩٧ حتى نهاية صيف ١٩٩٩ م/ ١٤٢٠ ه ـ

٣- جامع رأس الحسين

يقع على بعد كيلو مترين شرقي القلعة بالقرب من منتزه رأس العين، بني المسجد على أنقاض معبد وثني قديم، وصفه النابلسي في أثناء زيارته لبعلبك عام (١١١٢ ه/١٧٠٠) :" إنّه جامع كبير وعظيم ولكنّه خراب وجدرانه مشيّدة بالأحجار العظيمة وفيه أعمدة ملقاة واقعة فيه، وفيه آثار المنبر وبه محراب عظيم وله شبابيك كثيرة وبه جدول لطيف جار من رأس العين [١٤] .

وهو بطول ٥٠ مترا، وعرض ٣٨ مترا، بداخله ٢٢ عمودا، تخترق المسجد الرئيسي الأمامي ساقية من نبع رأس العين. به ست قناطر ويقسم على ثلاثة أروقة لكلّ منها محراب، تحملهما أعمدة يستدل عليها من قواعدها الحجرية المتبقية، يتقدمهما محرابان، أعلى المحراب الأيسر كتابة مهشّمة مطلعها : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وضعت على باب المسجد اليوم لوحة باسم مسجد رأس الحسين، وفيها رواية "(مرور موكب جيش الأمويين في بعلبك وفيه رأس الحسين).

ويعتقد الأهالي أَن رأس الإِمام الحسين (عليه السلام) قد نصب عند المحراب(السلام)، عند مرور موكب سبايا كربلاء للاستراحة وهم في

طريقهم الى مجلس يزيد في الشام، و استناداً إلى بعض الروايات، إن أهل بعلبك بنوا المسجد تخليداً لمرور نساء الحسين وأهل بيته من بعلبك.

نقشت على مدخل الجامع آية قرآنية بالخط الثلثي :

" بسم الله الرحمن الرحيم:(إنمّا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صدق الله العظيم).

أما شكل عمارته فمملوكية، قام السّلطان المملوكي الظاهر بيبرس بتجديده وتوسيعه في سنة ٦٧٦ هـ/١٢٧٧ بناه بلبان الرومي [١٥]حيث توجد كتابة حجرية على مدخل الجامع بالنّسخ المملوكي ، من أَربعة أَسطر :

- **بسم الله الرحمن الرحيم عمّر هذا المسجد المبارك العبد الفقير الى الله سبحانه**
- **وتعالى بلبان الرومي الدوادار الظاهري العبدي السّعيدي ابتغاء رضوان الله تعالى والقربة .**
- **إليه ليكتسب الأجر والثواب وهو ذخر له عند الله سبحانه وتعالى وكمّل ذلك في شهور سنة ستّ وسبعين و ستمائة.**
- **بمباشرة العبد الفقير الى الله حسن بن محمد الملكي الظاهري السّعيدي ونظر العبد الفقير عباس[١٦]**

اهتم الملك بركات خان (٦٧٧ هـ - ١٢٧٨ م) خليفة بيبرس بالجامع، وهذا ما يشير إليه نص مكتوب على أَربع جهات لدعامة من دعائم الجامع وهو مؤلف من ثلاثة أسطر من النّسخ المملوكي قياس (٦٧×١١ سنتم):

- **بسم الله... جدّد هذ (ا) الع**
- **.... (مولا) نا السّلطان الملك السعيد الناصر**
- **الدنيا والدين بركت خان قسيم أَمير المؤمنين خلّد**
- **(الله) سلطانه و(ا) عزّ الله تعالى أنصاره في عام سبعة وسبعين وستمائة .[١٧]**

لا يزال سقف أحد الأبواب يحمل عبارة "علي" بشكل هندسي، ويشير تكرارها فوق أكثر من باب الى تعظيم شأنه، وقد عمد الحرافشة فيما بعد الى نسخ هذا الشكل الهندسي نفسه في بنائهم لمسجد النهر[١٨].

ويوجد على يسار المدخل كتابة ، تتألف من خمسة أَسطر الكلمات، ويعود تاريخها الى عام ٩٠٨هـ، وتنص على منع التطاول على المسجد، وأوقافه، وإعفائه أيضاً من الزكاة بأمر من الأمير قانصو بن أحمد.

- **بسم الله الرحمن الرحيم بتاريخ ثامن المحرم سنة ثمان وتسعمائة أخذ الزكاة المتعينة لعمل الأوقاف مولانا أمير الأمراء.**
- **قانصو بن أحمد. أعزّ الله أنصاره بمنع.. من الجامع الوقف المراسيم الشريفة**
- **برزت بإعفائه من مغرم كشف الأوقاف فرسم اعتماده المحكمة الشريفة وعدم التعرّض الى جهات وقفه إلا بعمارة.**
- **ولا مغرم كشف ولا طرح وإعفائه من زكاة جبابة كشف الأوقاف وأن ينقش ذلك على بلاطة فمن بدّله.**
- **بعدما سمعه فإنّما إثمه (على الذين يبدلونه) وعليه لعنة (الله والملائكة والناس أجمعين) وصلى الله على سيدنا محمد والحمد له وحده.**

أجريت بعض الترميمات عام ١٩٤٤ وأُرجعت أعمدة الأروقة إلى مكانها وقد هدّمت القبّة المشقّقة فوق المدخل من ثم أعيد بناؤها [١٩]. وفي السبعينيات عملت المديرية العامة للآثار على تكحيل بعض جدرانه منعاً لسقوطها .

يُرجّح البعض أن المسجد هو بناء مشهدي لخلوه من المئذنة ، فيما يعتقد البعض الآخر تهدم المئذنة وتبعثر حجارتها، إلا أنّ الذاكرة الشعبية تؤمن بأن ركب السبايا استراح هناك لذلك يقصد المؤمنون الحسينيون أيام الجمعة ويحيون فيه ليالي عاشوراء .

٤- <u>الجامع المعلّق:</u>

يقع في نبع الزينة بمنطقة رأس العين بالقرب من جامع رأس الحسين . زاره عبد الغني النابلسي عام ١١٠٠ هـ، وقال عنه:" عند تلك العين في ذلك المسجد المعلّق، وهو الآن خرب يدور به الماء من جميع جوانبه "[٢٠].

كما وصفه النابلسي أثناء زيارته الخامسة لبعلبك (١١١٢ هـ ١٧٠٠ م) : إنّه مسجد صغير في وسط الماء يتوصّل إليه بجسر فيه

محرابان لطيفان لكن أحدهما متهدّم، وهذا المسجد قد اندثر ولم يبق منه غير القيس والمحراب "[٢١]

ويقال أنَّه كان فيما مضى تكيّة للمولوية، وقد وصف الأمير حسن الخالدي المشهد بقوله:

مثل ارم وجلق في الأرض ليس يخلق
ولا كراس عين والمسجد المعلّق [٢٢]

ويقال إنَّه كان فيما مضى تكيّة للمولوية، وقد وصف الأمير حسن الخالدي المشهد بقوله:

لكعبة لرأس العين حجّوا تشاهدوا
مقاماً ومن أهل الصفاء صفوف
بمرجتها لله بيت معلّق محواليها
يسعى ماءُ هذا ويطوف

ولا يوجد اليوم من بقايا المسجد سوى حجر فيه أَربع حنايا وهو مرتكز على حجر أَسود في نصف البركة وتوجد كتابة عربيّة مقلوبة وهي على أَربع جهات من الحجر.[٢٣]

٥- <u>الجامع الحنبلي</u>

يقع في حي "غفرة" بالقرب من سوق المدينة، نسبة للمذهب الحنبلي، كان موجودا" في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. تحدّث فيغاند[٢٤] عن تجديده في عهد السّلطان قلاوون سنة ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م. ويستدلّ على ذلك من كتابة عربيّة وجدت في الجامع من ستّة سطور قياسها (١٦٤× ٥٩سنتم) جاءت على الشكل الآتي :

- **بسم الله الرحمن الرحيم جدّد هذا الجامع المبارك في أيّام مولانا السّلطان الأعظم شاهنشاه المعظّم.**
- **مالك رقاب الأمم سيّد ملوك العرب والعجم والترك والديلم الملك المنصور سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة.**
- **والمشركين محي العدل في العالمين ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين أبي المعالي قلاوون قسيم أمير المؤمنين خلد**
- **الله سلطانه وشدّ أزره ببقاء ولده وولي عهده مولانا السّلطان الملك العالم علا الدّين وأدام ملكه.**

- **وجعل البسيطة ملكهما بتولّي الأمير نجم الدين حسن نائب قلعة بعلبك المحروسة ومدينتها ونظر القاضي بهاء**
- **الدين ابن خلكان وذلك في العشر الآخر من جمادى الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة والحمد الله وحده.**

زاره الرحّالة عبد الغني النابلسي واجتمع برجل من المغاربة من أتباع الطريقة الشّذلية وكان يقيم في حجرة داخل المسجد[٢٥]

رمّم المسجد حديثا سنة:

- ١٨٥٢ على يد قائمقام بعلبك " فرحات باشا"

- ١٩٥٩ على يد جمعية بناء وترميم المساجد في بيروت ووضع فوق المدخل نصّ كتابي يشير إلى ذلك.

بتأليف حرم المسجد من ستّة أعمدة أربعة من تيجانها " كورنثيّة" وعمودان من حجر الغرانيت، يبلغ طول الجامع أَربعة عشر متراَ، وعرضه ثلاثة عشر متراَ ويتميز بمآذنه الثمانية القائمة في زاويته الغربية يبلغ ارتفاعها حوالي سبعة أَمتار . كان مسجد الحنابلة مقصدا لطلاب العلم والعلماء من مختلف أَقطار العالم الإسلامي .

٦- <u>جامع الصّاغة.</u>

يقع بالقرب من هيكل الزهرة (venus) عرف بذلك لوجوده في منطقة الصّاغة، ذكر ألوف وفان برخم و سوبرنهايم[٢٦] بأنّه توجد كتابة عربيّة من أربعة أسطر على باب مئذنة الجامع قياسها (٣٥ ×٨٥ سنتم) تحمل تاريخ بنائها (٦٣٨ هـ ١٢٤٠ م) بأمر من الملك الصالح إسماعيل والكتابة جاءت على الشكل الآتي :

- **أمر بعمارة هذه المئذنة المباركة في أيّام مولانا السّلطان**
- **الملك الصّالح عماد الدنيا والدين أبي الفضل إسماعيل**
- **العبد الفقير إلى الله عبد الرحمن بن حسّان غفر الله له في سنة ثمان وثلثين وستماية"**

تمّ إصلاح المئذنة سنة (١١٤٠ ه_ ١٧٢٨ م) ويوجد على باب المئذنة مثلّث كتب فيه نصّ من ثلاثة أَسطر :

- **لا إله**
- **إلا الله محمد**

- رسول الله
- اللهم ملك ١١٤٠

لم يبق من المسجد سوى مئذنته قاعدتها مربّعة، أضلاعها مثمّنة، يبلغ ارتفاعها سبعة أمتار، قامت مؤسسة الحريري بتدعيم الجامع وأقامت له سقفاً من القرميد.

٧- جامع النهر

هو أول مسجد للمسلمين الشيعة في بعلبك، قام بتجديده الأمير يونس الحرفوش سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨ م ولعلّه الجامع الذي كان يُعرف بمسجد الجوكنداري، ويستدلّ على ذلك من كتابة حجريّة لأبيات من الشعر :

جدّد المولى أمير الأمراء يونس الحرفوش كنز الفقرا
مسجد يزهو على أمثاله بالبنا والماء فانظر هل ترا
مذ تممت أعماله تاريخه أثابه الله على ما عمرا

زُيّنت الزوايا العليا لبابه ببلاطتين نقش عليهما اسم "علي" بشكل مثلّث.

ثمّ جرى تجديد بناء الجامع سنة ١٣٢٧ هـ/١٩١٨ م. بمساعي السيّد جواد مرتضى العاملي، وفي عام ١٩٢٧ اتخذ شكله الحالي، هو بطول ثلاثين متراً وعرض عشرين متراً، في وسطه ثلاثة أعمدة لها تيجان صغيرة وبسيطة، له منبر ومحراب. ويطلق عليه اليوم اسم مسجد الإمام المهدي (عليه السلام).

ثانياً: المدارس الاسلامية

عرفت بعلبك التعليم منذ مجيء الفتح الإسلامي ـ وتلاشت اللغة السريانية، وانتشرت اللغة العربية. وأخذت دوراً ريادياً إذ أصبحت مدينة علم وفيها درس الأوزاعي (١٥٧/٨٨ هـ).وظهرت مدارس فقهية توزّعت بين بعلبك وكرك نوح. تحدث القلقشندي عن مدارس بعلبك والربط والخوانق والزوايا [٢٧].

يذكر محضر السيل عن دمار ثلاثة عشر مسجداً ومدرسة في بعلبك سنة ٧١٧ هـ/١٣١٨ م. إضافة إلى البيمارستان الذي ذكره العمري وكيف أن ما أنهدم يناهز ثلث المدينة. إن المساجد ودور الحديث

والخانقاهات ، والمشاهد كانت تستعمل جميعها على نطاق واسع للتدريس فتقوم بذلك مقام المدارس لاسيما عند الحنابلة، اشتهرت من المدارس: النورية، والنجميّة، والجنابلة، والأَمينية .

كما عرفت بعلبك الربط والخوانق والزوايا والتي بقيت آثارها في أحياء بعلبك حتى مطلع العشرين، أما المدارس لم يبق منها سوى آثار المدرسة الامينيّة.

المدرسة الأمينيّة :

منسوبة لأمين الدولة أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد طبيب الصالح إسماعيل وكاتبه ، من ثم وزيره في دمشق بعد ذلك[٢٨] ، أنشأها سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م . بجوار الجامع الكبير في الشرق وعلى لوحة حجرية فوق مدخل المدرسة بملاصقة الجامع كتابة ، قياس اللوحة(١٤٠× ٤٠ سنتم) مكتوبة بالخط النسخي الأيوبي جاء فيها:

- **بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما وقفه وحبسه وأبـ (دة في أيام) مولانا السلطان .**
- **الملك الصالح أَبي الفداء إِسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب العبد الفقير إلى رحمة**
- **الله سبحانه أبو الحسن المتطبب على الفقهاء والمتفقهه على مذهب الإمام الشافعي وعلى القراء**
- **بالضريح بالتربة المباركة وغيرهم مما هو مذكور في كتاب الوقف وذلك في شهور سنة سبع (وثلاثين وستمائة) [٢٩] .**

يدل هذا النقش على أنها للشافعية والقراء بالدرجة الأولى.ويقول اليونيني في حوادث سنة ٦٥٨ هـ /١٢٥٩ م عن موكب قاضي القضاة محي الدين يحيى بن الزكي : "ثم عادوا إلى طريق بعلبك فوصلوها سادس جمادى الآخرة أو سابعه بكرة الخميس ومحي الدين في تجمل عظيم ، وهو راكب في محفة ومعه من الحشم والغلمان والأولاد والحاشية ما لا مزيد عليه وصلى الجمعة في شباك قبة المدرسة الأَمينية المجاورة جامع بعلبك[٣٠]" .

وفي ترجمة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مكتوم البعلبكي :"... وكان معيداً بمدرسة أمين الدولة على ابن العقيب[٣١] رحمه الله بجامع بعلبك"[٣٢] . وهذا يدحض قول كل من يزعم أن المدرسة التي قرب الجامع هي النورية .[٣٣]

المدرسة عبارة عن عدّة غرف يوجد في واحدة منها محراب عبارة

عن قطعة واحدة منحوتة من الصخر ، وفي الغرفة الغربية نافذتان تطلان على الرواق الشرقي للجامع، يوجد فوقهما أقواس وزخرفة عبارة عن زهرات. يدخل حالياً الى المدرسة من الرواق الشرقي للجامع الكبير بواسطة باب كبير، يوجد في باحتها بركة ماء للوضوء حولها أربعة أعمدة من حجر الغرانيت[٣٤].

ثالثا :القباب

عرفت بعلبك القباب في العمارة الإسلامية والتي تطورت في العصر المملوكي بشكل لافت، أظهر الإبداع في الفن الإسلامي،فكان منها إقامة قبة من ثمانية أضلاع ترتكز على أربعة أعمدة ترتكز على ثمانية أكتاف وتلتقي في نقطة واحدة. ومن القباب التي ما زالت آثارها موجودة.

١-قبة الأمجد

تقع على تلة "الشيخ عبد الله" المشرفة على بعلبك من جهة الجنوب، تتألف من مسجد صغير له ثلاث نوافذ وزاوية، وفيها قبر الشيخ "عبد الله اليونيني" الذي تعرف التلة باسمه. أمر ببنائها "الملك الأمجد بهرام شاه " حفيد "صلاح الدين الأيوبي" الذي ولّي بعلبك بين عامي ١١٨٢ و ١٢٣٠ م، تكريما للشيخ "عبد الله اليونيني" و نقشت على أحد جدرانه :

" إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بعمارة هذا المسجد المبارك الأمير الأسفهسيلار الكبير صارم الدين أبو سعيد خطلخ بن عبد الله المعري الملكي الأمجدي ضاعف الله له الثواب وغفر له يوم الحساب في سنة ست وتسعين وخمسمائة[٣٥].

٢- قبة السعدين

وهو مسجد الجركس، يقع بجانب سور القلعة الشمالي، على مسافة من البوابة الرومانية ضريح مقبب يتألف من حجرتين، في زمن السلطان "الملك الناصر فرج" ليكون مدفناً لنواب السلطنة في بعلبك له باب مزخرف، ومحراب، وفوق بابه لوحة نُقش عليها ما يفيد أنه أقيم سنة ٨١٢ هـ/ ١٤١٠ م. فوق ضريحين لرجلين من مماليك الظاهر برقوق، ويزين مدخل القبة قوس من الوسائد الحجرية التي شاع استخدامها في العصر المملوكي. كما يزين المدخل من أسفل زخارف منقوشة على جانبي الجدار. ونُقش في الزوايا الأربع للوحة التاريخية شعار الكأس.

٣- قبة دورس

تقع على يسار مدخل المدينة الجنوبي،بنيت على ضريح عيسى بن الحسن الزرزاري في العصر الأيوبي وكانت له قبة فوق ثمانية أعمدة من الغرانيت الأحمر، كتب عليها العبارة الآتية : أمر بعمارة هذا الموقع المبارك عيسى بن حسن الزرزاري سنة واحد وأربعين وستمائة[٣٦].

رابعاً: مزارات وشواهد القبور

ذكر الرحالة عددا من القبور لم يبق لها أثر ، باستثناء قبر السيدة خولة بنت الحسين (عليها السلام) ، وسنذكر منها : قبر حفصة أخت معاذ بن الخزرجي[٣٧]، ومزار الكيلاني " عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني[٣٨].

مشهد السيدة خولة

عند المدخل الجنوبي لمدينة بعلبك مرقد منسوب الى طفلة :هي خولة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ذكره ميخائيل ألوف قائلا: "وللشيعة على مدخل المدينة -بعلبك- مسجد للسيدة خولة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قائم على مدفنها المكرم من أهالي البلاد، وقيل - دون سند تاريخي- إنّه لمّا سبيّ أهل البيت بعد موقعة كربلاء وأرسلوا إلى دمشق ماتت خولة وهي طفلة في بعلبك، ودفنت فيها، وفي دار المسجد مقبرة للسادة آل مرتضى سدته هذا المقام، وفيها شجرة سرو قديمة العهد[٣٩]

وتذكر جمعية قبس المهتمة بالآثار الدينية :"أن المقام قد بناه لأول مرة الهمدانيون الموالون للإمام علي(عليه السلام) ، والذين كانوا ينتشرون في المنطقة ، ليكتشفه المتصوّفة ويحافظوا عليه زمن وجود الحنابلة في بعلبك ...،من ثم يأتي المماليك ويدمروه في أثناء حملتهم على بلاد الشام.... وفي زمن الحرافشة الشيعة يعاد بناء المقام ، ويؤكد ذلك وقفيه آل الغربية سنة ١٦٨٨ م[٤٠] .

اكتشف مرقد السيدة خولة على وفق الذاكرة الشعبية إلى القرن العاشر: (٢١/٩/١٤٩٥-٧/١٠/١٥٩٢ هـ)

ومن الوثائق الحديثة التي تعزز احتمال وجود مقام هي :

- **مخطوطة مؤرخة في العام ١٧٨٥ م تدعو إلى إعادة إعمار المقام.**
- **أقدم صورة فوتوغرافية لمقام السيدة خولة (عليها) التقطها الألماني هرملت برشاروت عام ١٨٩٧ م .**

- **صورة لنقش أثري قديم نشره الأب رزنفال اليسوعي المتخصص في الكتابات الشرقية القديمة ، في العام ١٩٠٠ في مجلة المشرق التابعة للرهبنة اليسوعية ، وُجدت في بعلبك مقابل لوكندة عربيد ، أي بالقرب من مقام السيدة خولة (عليه السلام) . حصل عليها من الأب لمنس ، وهو نقش مهمش الأطراف بقياس ٢٢×٣٠٠ سم وعليه كتابات بالطراز الكوفي الفاطمي في أربعة أسطر ، وتعود للحقبة التي سيطر فيها الحنابلة على المدينة، وبعد دراسة رزنفال لها قال: إن النقش هو شاهد لضريح، ويبدو أنها علويّة الانتماء، وأمكن قراءة ما كُتب عليها:السطر الأول: "...حسين بن علي..."ع.السطر الثاني: "الله عنه في ذي الحجة."السطر الثالث: "سنة سبع وسبعين وا."("....السطر الرابع: "ربّ اغفر له وأَرحم. يُشير رنزفال إلى أنها لصاحبة المرقد القريب من مكان العثور عليها "خولة بنت الحسين"إذ يقول: "إنها طمست في أثناء نقل رفات الطفلة خولة[٤١].(**
- **قام الحاج محمد بن علي الغربية بوقف حقل مجاور للمرقد في ٥ جمادي الثانية ١١٠٠ هـ[٤٢].**
- **-زار مرقد خولة الرحالة الإنكليزي روبرت وود (Robert Wood) عام ١١٧٠ ه ورسم المرقد مع الهياكل الرومانية في بعلبك .[٤٣]**

- قرر حاكم بعلبك إسحاق روحي ومُفتيها خليل العمري ونقيب السادة آل مرتضى ترميم مرقد خولة فطلبوا من الأهالي من خلال مخاتير المدينة والقرى المجاورة مساعدتهم عام ١٢٠٠ ه [٤٤]

- تمّ تجديد مرقد السيدة خولة بنت الحسين (عليه السلام) عام ١٣٠٩ أرّخ الشاعر الشيخ صادق زغيب ذلك بأبيات نُقشت على بلاطة من الرخام أثبتت على المدخل الرئيس للمرقد -من الوافر:-

إلى بنت الحسين الطهر خول (تحية ذي الجلال ندى لروحي
إلى من قد سمت بأب وجد على الثقلين من إنس وروح
إلى من رحت أفديها بقومي وأفدي قومها بأبي وروحي
جزى إسحاق حاكم بعلبك بإحسان وريحان وروح
بنى هذا المقام عماد فخر إلى شراوه تاقت كل روح
وكيف يقاس بنيان عليه القدس احتوت نفحات روح

وقد شملته في تاريخ: مجد أيادي ذي العلا إسحاق روحي[٤٥]

- **تولّت مديرية الآثار ترميم المرقد عام ١٣٧٨/١٠/١٩ هـ-١٩٥٩/٤/٢٨ م وتمّ تصنفيه ضمن الأبنية التاريخية، وأصدر مرسوم جمهوري بذلك.**

كان المرقد لوقت عبارة عن غرفتين تعلوه قبة صغيرة، حتى أواخر القرن ١٤ الهجري – العشرين الميلادي، وهو الآن بناء متسع فيه غرف متعددة وحسينية ومصلى بجانب المرقد؛ لاستيعاب حاجة الزائرين تعلوه قبة كبيرة مذهبة ومنارتان عاليتان ، وتعمل الجمهورية الإسلامية الإيرانية بإشراف الوكيل الشرعي العام الشيخ محمد يزبك على توسيع المرقد.يقصد المشهد زوّار كثر من لبنان ومن خارجه، محبّة وتعظيماً لجهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره الميامين.

٥- الكتابات الحجرية

وجدت كتابات منقوشة على الحجر في بعلبك، غير النصوص الحجرية المتعلقة بالترميم والبناء، وهي مراسيم تحدد أنماط الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والاقتصادية، وكانت المراسيم المختصة تخفيف الضرائب أَو الإعفاء منها تحفر على جدران الأماكن العامة والجوامع برز ذلك في العهد المملوكي، وكانت المراسيم العسكرية تحفر على القلاع، أما الأُمور التجارية فكانت تخفر في أماكن مكشوفة في الأَسواق.[٤٦]

هذه الكتابات الحجرية سنتناولها في بحوث لاحقة للكشف عن الأَوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في القرون الوسطى في بعلبك، من الكتابات الحجرية التي تركت بصمتها على العمارة الإسلامية.

قائمة الهوامش والمصادر

[١] الواقدي : فتوح الشام ومصر والعراق ،دار الجيل ، بيروت ج١ ص١٣١.
[٢] إبراهيم بيضون: لبنان في العهدين الأموي والعباسي في لبنان في تاريخه وتراثه، مركز الحريري الثقافي بيروت ١٩٩٣،ص١٥٣- ١٨٠.
[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ١٠٩ .
[٤] -ابن العبري : تاريخ مختصر الدّول ، بيروت طبعة الأب الصالحاني، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٨٠، ص ١٣٥.
[٥] - ياقوت الحموي :معجم البلدان، ٤٥٤/١
[6] - T,Wiegand ,Baalbek, Berlin, 1925, 27

[٧] - ابن العبري: تاريخ مختصر الدول،مطبعة الأب أنطون صالحاني،ص ١٣٥.
[٨] مخائيل الوف : تاريخ بعلبك ، ص١٥٢
[9] M.Van Berchem : voyage en Syrie,Caire 1944,p 336.
[10] N.Elisséeff, Les monuments de Nùr AD-DIN dans B E O,tXlll,p.17.
[11] T,Wiegand ,Baalbek, Berlin, 1925,25
[12] T,Wiegand ,Baalbek, Ibid, p22.
[13] T,Wiegand ,Baalbek, Ibid, p25
[١٤] - عبد الغني النابلسي: التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧١،ص ١٠١.
[15]- Epigraphie, Syro-Musulmane. Paris L. Geuthner, 1924,p 154.′G, Wiet,Notes d
- حسن زريق: بعلبك الإسلامية من الناحيتين التاريخية والأثرية، أطروحة دكتوراه- الجامعة اللبنانية، إشراف د محمد أمهز-٢٠٠٤- ص ٢٢٥.
[16]- Epigraphie, Syro-Musulmane. Paris L.Geuthner,1924,p 154.′G,Wiet,Notes d
- حسن زريق : بعلبك الإسلامية من الناحيتين التاريخية والأثرية، ص ٢٢٥.
[17] T,Wiegand ,Baalbek, Ibid, p22
[١٨] حيدر خير الدين: مشهد ومسجد رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في بعلبك، مجلة إطلالة جيليّة،عدد ٢٤-٢٥
[١٩] حسن زريق: بعلبك الإسلامية من الناحيتين التاريخية والأثرية،ص ٢٢٥.
[٢٠] عبد الغني النابلسي ورمضان العطيفي: رحلتان إلى لبنان، تحقيق صلاح الدّين المنجد وإسطفان فيلد نصوص دراسات المعهد الأأماني في يسروت ١٩٧٩ ص ٨٠
[٢١] عبد الغني النابلسي: التحفة النابلسيّة في الرحلة الطرابلسيّة، ص ١٠١،
[٢٢]عبد الغني النابلسي: مخطوطة حلّة الذهب الإبريز، رقم ٧٩١٠، المطبعة الظاهرّية، دمشق، ص ٢٠.
[٢٣] - حسن زريق : بعلبك الإسلامية من الناحيتين التاريخية والأثرية، ص ٢٣٠.
[24]- T,Wiegand ,Baalbek, Ibid, p21
[٢٥] - عبد الغني النابلسي: حلّة الذهب الإبريز، ص ١٥٨.
[٢٦] ميخائيل ألوف: تاريخ بعلبك، ص ١٦٣
[٢٧] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .
[٢٨] الأَسنوي : طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد ١٣٩٠/١٩٧٠ ، ج ١/ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣ .
[٢٩] ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .
[٣٠] القطب اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج١، ص ٣٥٦ .
[٣١] هو نور الدولة أبو الحسن المعاوي علي بن أحمد بن علي بن أبي الأسد المعروف بابن العقيب. توفي ببعلبك في ٢١ ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ/١٢٧٥ م. ودفن في مقابر باب نحلة، راجع : القطب اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ١٣٨
[٣٢] القطب اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج٤، ص ١٢١ .

[٣٣] هولو جودت فرج : بعلبك في العهد الأَيوبي، مطبعة الأَمير بعلبك ٢٠٠٢ ، ص ١٧٧
[٣٤] حسن زريق : بعلبك الإِسلامية من الناحيتين التاريخية والأثرية،ص ٢٤٨
[٣٥] ميخائيل ألوف: تاريخ بعلبك ،ص ١٤٤.
[٣٦] ميخائيل ألوف: تاريخ بعلبك ،ص ١٦٥.
[٣٧] ابن شدّاد: الاعلاق الخطيرة في ذكرى أمراء الشام والجزيرة، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، ١٩٥٦، ص ٢٦٩
[٣٨] عبد الغني النابلسي: مخطوطة حلّة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، ص ٢٨.
[٣٩] ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ،ص ١٣
[40] http://www.qabas.org.lb(عليه السلام) / مقام السيدة خولة بنت الإمام الحسين
[٤١] - كتاب السيدة خولة بنت الإمام الحسين(ع): ٣٩ عن مجلة المشرق اللبنانية: ١٩٠٠ (٣٢-٣٩) مقال بعنوان "قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها
[٤٢] - م.ن ص٤٠.
[٤٣] - م.ن.ص ٨٠ عن كتاب11-757 :The Ruins of Baalbek .
[44] http://momahidat.org/
[٤٥] كتاب السيدة خولة بنت الإمام الحسين(ع):ص ٤٢
[٤٦] حسن زريق : بعلبك الإِسلامية من الناحيتين التاريخية والأثرية، ص ١٢٧.

Islamic religious architecture in the city of Baalbek

Assistant Professor Dr. Raghida el masri
Lebanese University
history′ s department

Baalbek (Heliopolis- the City of the Sun), one of the most important historical cities in Lebanon, has known as multiple civilizations in successive historical periods, which have left many archaeological evidences, the most important ones are the castle and the roman temples.

The Islamic architectural and artistic heritage in Baalbek was consisted from different types of buildings: religious, civil, military and social in addition to many archaeological arts that were mastered by the Muslims.

This research Comes as a contribution to show the importance of the Islamic religious architecture in Baalbek and its civilizing role in a time in which there is an increasing number of Studies at an international level concerning of the Roman archaeology of the castle and the temples , which does not deny the importance and scientific value.

This research will shed light on the religious that was left behind by the Arabs and the Muslims in Baalbek. This architecture consists of: mosques, schools, Khanaqua connectivity and domes. It will also take into consideration the Royal decrees that were engraved on them.

How popping Islamic religious architecture in Baalbek? When was the construction of the first mosque? What are the religious buildings that still exist? What are their main characteristics? What is the economic and social role of these buildings? And what are their social and cultural implications? How was the preservation of this architectural heritage?

Keywords: Islamic conquest, mosque, school, decrees, domes, connectivity, shrines. Economic role, social and religious structure